

## حكاية الفلسطينيين والعرب



مروان كفتاني  
المستشار السياسي  
للراحل ياسر عرفات

يجمع المراقبون على أن ما تبقى من العام الجاري سوف يشهد تطورات خطيرة على الأوضاع في الشرق الأوسط، نتيجة عدة عوامل أهمها الانتخابات الأميركية والاسرائيلية والوضع المتصاعد في مواجهة مع إيران، وتطور المواجهات الجماعية في شمال سوريا، إضافة إلى إطلاق الولايات المتحدة المتوقع لمبارتها لتحقيق السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين، هذا إذا لم ينزل الوضع نحو حروب مستعرة قد تغير وجه الشرق الأوسط بكامله.

ترفع الولايات المتحدة اليوم بقيادة الرئيس دونالد ترامب وإسرائيل، السيف لقطع الوريد وإغلاق الستار عن حلم الدولة الفلسطينية المستقلة، الأمر الذي يضع القيادات الفلسطينية في مواجهة هجمة تحمل في هيوها مشاكل وحروب وانقسامات وتحالفات لا علاقة لنا بها ولا مصلحة. أين يقف الفلسطينيون اليوم من كل ذلك؟

الخطر الأكبر الناتج عن هذه التصرفات الأميركية لا يتمثل في إسدال الستار عن القضية الفلسطينية، لأن ذلك ليس في مقدور إسرائيل أو الولايات المتحدة، لكنه رهن بتمسك الفلسطينيين وتحالفهم للاستمرار بالكفاح لاستعادة حقوقهم الشرعية.

الخطر الذي قد يتعرض له القضية الفلسطينية حاليا وفي المستقبل المنظور هو تهينة الأجواء لصدام مدمر بين الفلسطينيين من جهة وبين العرب، وليس إسرائيل، من جهة أخرى، الأمر الذي تنمو دلالته يوما بعد يوم.

يكن هذا المعطف الخطير في اختلاف المصالح والأهداف التي تفرس

نفسها على أولويات وسياسات وربما تحالفات معظم الدول العربية، التي قد يعتبرها الفلسطينيون ضارة بأولوياتهم وأهدافهم.

سوف تفرض المرحلة القادمة على الجميع، عربا وفلسطينيين، اتخاذ قرارات مؤلمة إذا ما فشلوا في انتزاع دور لهم تجاه الأخطار التي تتعرض لها بلادهم، وأهمها العودة لفرض الوضع الراهن الذي يعرفه وعانى منه الجميع.

مَرَّ التاريخ السياسي الفلسطيني الحديث بمراحل عديدة تصادمت فيها مصالح القضية الفلسطينية مع حقائق السياسات العربية ومتطلباتها الخارجية وتوازنها الداخلية. ودفع الشعب الفلسطيني وقياداته ثمنا باهظا لها.

سأهت الجيوش والمتطوعون العرب في حرب عام 1948 ضد القوات الصهيونية ومتطوعين أجانب، واضطروا في النهاية لقبول الهدنة ومن ثم الاتفاق على وقف الحرب، الأمر الذي اعتبرته القيادات الفلسطينية آنذاك وعمامة الشعب الفلسطيني حتى وقتنا الحاضر، بأنه خيانة للشعب وحقوقه وأهدافه.

في منتصف العقد الخامس من القرن الماضي وفي عهد الرئيس اللبناني كميل شمعون انحاز الفلسطينيون ذوو الغالبية السنية إلى الجانب اللبناني السني، وكسبوا منذ ذلك التاريخ عداء اللبنانيين المسيحيين وأحزابهم الذين كانوا قد ساهموا بجانب الفلسطينيين في الحرب الأولى.

ويُعيد عام النكسة عام 1967 ونتيجة للرفض الفلسطيني لاستكمال إسرائيل احتلال الأرض الفلسطينية فرضت المنظمات سيطرتها على العاصمة الأردنية وبدأ الكلام عن فلسطيني أردني، وحثمت المصالح الأردنية

المصرية التوصل إلى اتفاقات انسحبت بموجبها إسرائيل من الأراضي المصرية والأردنية، وقبول الأمر برفض وإدانة عميقة وصامتة ومفهومة في قلوب الفلسطينيين. رافق ذلك اتهام آخر جديد عن مسؤولية الفلسطينيين في إضاعة فرص السلام.

واكتسب الفلسطينيون عداة قطاع كبير من الكويكبين والعراقيين، معا، نظرا لتأييد بعض المنظمات الفلسطينية للرئيس العراقي صدام حسين في ذلك الوقت، وتم طردهم واعتقال العديد منهم كما تم ذلك من قبل دول الخليج العربية، إضافة إلى وقف المساعدات المالية التي كانت تمنحها تلك الدول لمنظمة التحرير الفلسطينية.

هل كان على الدول العربية تجنب تحقيق مصالحها في سبيل فلسطين؟ أم كان على الفلسطينيين أن يوافقوا ويهللوا لفقدان أرضهم وحقوقهم؟ وكيف يمكن للفلسطينيين التمسك بالحصن العربي دون التحلي عن الولاء الفلسطيني؟ وكيف العمل والتعامل مع التناقض الوطني والجماعي العربي في غابة التصادم والتحالفات التي تلف دول الشرق الأوسط؟

على الفلسطينيين أن يعترفوا بأن مصالح الدول العربية لها أولوية في ما يتعلق بأمنها القومي والدفاع عن أراضيها والجهد في تحسين حياة مواطنيها وحماية مصادرها الطبيعية ودعم موقفيها الاقتصادي. وأن تدعم الدول العربية من جانبها الشعب الفلسطيني في التمسك بأرضه وحقوقه الشرعية في المحافل الدولية وفي علاقاتها الثنائية مع دول العالم، وتعمل على تحسين الحياة والعمل والتنقل للفلسطينيين، وتحثهم على التوحد والاتفاق على برنامج سياسي مشترك.

إن القاسم المشترك الأعظم بين الدول

العربية كافة وقيادة السلطة الوطنية الفلسطينية هو اتفاق السلام الفلسطيني الإسرائيلي لعام 1993 والمبادرة العربية لعام 2002 اللذين نالا موافقة الفصليين الفلسطينيين الأقوى والأقدر في الساحة الفلسطينية.

على الدول العربية المعنية ألا تضغط أو تفرض على الفلسطينيين موقفا لا يريدونه، وتحميمهم من الإجرام والقتل الإسرائيلي، وترفض من حيث المبدأ الاستيطان والهدم والاستيلاء على الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية، ليس فقط بدعم للطلب الفلسطيني بل لاعتبار ذلك جزءا من مطالب وسياسة وأهداف الدول العربية.

يخطئ من يظن أن القضية الفلسطينية، هي قضية العرب الأولى، كما يخطئ من يظن أن الأزمة الليبية، على سبيل المثال، هي قضية العرب الأولى. فلا الأولى هي قضية الليبيين الأولى، ولا تلك هي قضية الفلسطينيين الأولى، ليس بالاختيار ولكن بالواقع.

إن نقطة الضعف الفلسطينية في غابة التشابك الدولية الحالية في منطقة الشرق الأوسط، والتي تتصاعد كل يوم وكل ساعة، ليست من صنع إسرائيل، ولا الولايات المتحدة، بل هي من صنع الفلسطينيين أنفسهم، وهي نتيجة لتفرقهم واختلافهم وتحالفاتهم. ولبقت القيادات الفلسطينية بأن تكون تابعة أن تكون قائدا لقضية بلادها. أراحهم التفرج عن بُعد بدلا من الانغماس في قضيتهم الأولى.

كان على الفلسطينيين أن يتواجدوا في اجتماع المنامة ليقولوا لا لبيع أرضهم بحفنة

### نقطة الضعف الفلسطينية في غابة التشابك الدولية الحالية في منطقة الشرق الأوسط، والتي تتصاعد كل يوم وكل ساعة، ليست من صنع إسرائيل، ولا الولايات المتحدة، بل هي من صنع الفلسطينيين أنفسهم، وهي نتيجة لتفرقهم واختلافهم وتحالفاتهم

من الدولارات، ويذهبوا إلى مؤتمر المبادرة الأميركية ليقولوا لا، بدلا من أن يقولها مندوب فرنسا أو روسيا.

لقد قال الرئيس محمود عباس لا وهو في مكتبه برام الله، وكرها في عاصم أخرى، وأهان المبادرة الظالمة لشعبنا، ولعن السفير الأميركي، ودعا لأن تذهب المبادرة الأميركية إلى جهنم، ولم يخف ولا وجل ولا هذبه أحد، لكن كان من الأجدر أن نقولها في المكان الصحيح وجها لوجه لمن وضع وكتب وأعلن تلك المبادرة الظالمة.

أسكرنا أذعأونا باننا أفضلنا مؤتمر المنامة، مع أننا لم نغعل. فقد اجتمع المدعوون وتحذروا وقرروا، ووضعت تاريخ وأرقام، ووفق تعليق صحافي لمراسل متواجد لي جنب أحد عن سبب غياب الفلسطينيين ولماذا، ولا طلب دعوتهم ولا توقف عن المشاركة، ووافق على أين ومتى سيتم الاجتماع القادم.

إذا لم يحترم الفلسطينيون ويقدرها مواقف ومصالح الدول العربية التي دعمت قضية شعبنا، وساهم مواطنوها في الدفاع عن حقوقنا منذ قرن من الزمن، وسالت دماؤهم على أرض فلسطين جنباً إلى جنب مع دم الشهداء الفلسطينيين، وإذا لم تتفهم الدول العربية الموقف الفلسطيني الذي يحتاج دعمهم وليس كلامهم، فإن أصوات تبذل الاتهامات جاهزة لتعيد التمسك بالتناقضات العربية الفلسطينية، وسوف تعلق تلك الأصوات، التي بدأت بوادها، على أصوات العقل والمنطق والصق، ولن تستفيد منها سوى قوى الشر التي لا تريد خيرا للعرب والفلسطينيين بالذات.

## داعش، ابن الواقع البار



علي الصراف  
كاتب عراقي

نظام كالسائد في العراق، هل يوجد ما يكشف عن طبيعته أكثر من داعش؟ الأول إذا كان "ضبطية"، فداعش هو "ختمها".

يُقدّم القول "داعش يعود" وكأنه اكتشاف. داعش لم يغب أبداً. ولا تمّ حرره. وظلت مآكينة إنتاجه تدور دون انقطاع. ورغم انهيار "دولة الخلافة"، فإن أحداً لم يجرؤ على القول إن انتصاراً قد تحقق ضد هذا التنظيم، ولا صدر إعلان بذلك. ولقد كان بوسع القادة الميدانيين أن يشموا رائحته، إن لم يروه، أو يتتبعوا خطواته.

ولنّ أحيط مناطق انتشاره بدمار شامل، فإن ذلك ما كان ليغير شيئا بالنسبة لتنظيم يشكل الخراب جزءاً من استراتيجيته. ومظلمة ظلت هناك ميليشيات تنتجها وتدعمها إيران، لتنتج فساداً وخراباً، فقد كان من الطبيعي أن تكون هناك ميليشيات لا تجد في الخراب عسراً أو تخشاً. وبينما ظلت "مآكينة الإنتاج" تعمل، فإن كل ما فعلته الملاحقات ضد التنظيم هو أنها دمّرت بعض "البضاعة" التي خرجت من طرف النهايات الأخرى.

"داعش" ابن الواقع الذي أنشأته طهران بالتحالف مع الولايات المتحدة عندما تمّ غزو العراق. لم يولد قيصرياً، ولا جاءت ولايته متعسرة، وما كان إلا طفلاً لسفاح بين نوعين من الغزاة، كان لكل منهما أغراضه وأحقاد ونوايا. فاجتمعت كلها على انحطاط في

السياسة والثقافة والإدارة، لنتج ما ينضح منها، بين الطوائف والأحزاب والمليشيات. داعش ابن بار مآكينة الإنتاج هذه.

ولد داعش من نظام قام على أساس التمييز الطائفي. فأوجد أرضية جديدة لأحقاد وكراهيات لم تالفها العلاقات الاجتماعية من قبل. وإذا أعلى طائفة فوق أخرى، وزودها بالمال والسلطة والسلاح، بصفتها الطائفية بالذات، فقد منح الدافع لكل طائفة أخرى أن تتزود بما تحتاجه للبقاء، بالصفة ذاتها.

ولد داعش من نظام قام على مستوى غير مسبوق من الفساد. فانتج إمبراطوريات تنهب لبس الملايين ولا حتى المليارات، بل عشرات المليارات. وكل فساد آخر، فقد تم تهريب تلك الأموال إلى الخارج، فخرجت من دائرة الاقتصاد المحلي، حتى عجزت الحكومة عن توفير التمويلات لأبسط مقومات الحياة. ورغم أن الميليشيات المتعاقبة ظلت توفر مقداراً نظرياً من الأموال، إلا أنها كانت تدخل في دائرة نهب وكنها تقب أسود، يستطاع أن يمتص كل شيء، ومن جميع الاتجاهات، وبكل الأيدي التي تطل إليه سبيلاً.

الطبيعة الميليشيوية للنظام الجديد كانت واحدة من أهم عناصر بقائه. لم تكن غابيتها تقتصر على إضعاف الدولة، ولكنها امتدت لتفتت المجتمع نفسه. حتى أصبحت نوعاً من هوية جديدة. فما لم تكن عضواً في ميليشيا أو تحتمتي بها، فلن تستطيع العيش بأمان. هذا الواقع أسقط "الوطن" كما أسقط "المواطنة" من العلاقة بين السلطة وأفراد المجتمع. وكان من الطبيعي لمن مزقتهم

الولاءات الطائفية والعشائرية والفئوية والفقهية، أن يلتئموا حول ولاء ما، بصرف النظر عن مقدار انحطاط ثقافته أو غبائه. وفي واقع شرس فقد كان من الطبيعي للشرطة أن تنتهي إلى مجازر وأعمال وحشية، لها أول وليس لها آخر.

ولد داعش من الوحشية التي مارستها الأحزاب الطائفية التي تولت السلطة. مئات الآلاف ممن اعتقلوا وعذبوا وانتهكت أعراضهم، وملايين من الذين تهجروا ونهبت ممتلكاتهم، تحت مسميات طائفية شتى، أو أكاذيب، أو اتهامات باطلة، لم تترك في نفوسهم إلا القليل من الرحمة، ومن لم ينج بها بالفرار، فقد كان من الطبيعي أن يحمل السلاح. عدة سنوات مضت على تلك الحال قبل أن يظهر داعش للوجود، حتى أن السؤال الصحيح لم يكن، لماذا ظهر؟ بل لماذا تأخر كل ذلك الوقت؟ كل الذين دفعوا ثمناً من شرفهم أو من حياة ذويهم، أو مما يملكون، كان من الطبيعي أن يبحثوا عن سبيل للانتقام أو لرد الاعتبار أو للبحث عن عوض ما. وحيث أن بدائل السياسة لم تترك حيزاً للعبة خارج الإطار الطائفي المحكوم بميليشيات الأحقاد والفساد، فقد كان من العجيب ألا يبدو تنظيم كداعش رداً واقعياً على واقع ميؤوس منه ومغلق.

لقد أنتجت إيران نظام ميليشيات لكي يتنج لها دماز بلد لم يرث منها إلا حقداً تاريخياً. حتى أنها لم تكن تريد أن تستفيد من هيمنتها عليه، لتقديم نموذج لمشروعها الثوري الخاص. كانت تريد أرضاً يباباً فحسب. وهذا ما كان.

الولايات المتحدة التي لأسبابها الخاصة، أرادت أن تعيد العراق قروناً إلى الوراء، عملت على تفتت دولته وتمزيق مجتمعه، وتدمير كل مقوم من مقومات ثقافته، بما فيها ذاكرته التاريخية، وأثرت الاستماتة بمحتوى سافل طبقة سياسية تجمع بين الرعونة والانحطاط الأخلاقي والسطحية الفكرية، إنما كانت تريد أن ترى بلداً محطماً، فكان من الطبيعي أن يتحول إلى مستنقع، ينضح عفونة تلائم طبيعته الجديدة.

داعش ليس سوى فقاعات من ذلك المستنقع. إنه ابن بار لعفونة الخيارات الإيرانية والأميركية.

أفهل يمكن القضاء على تنظيم تولد من مآكينة إنتاج كهذه؟ أفهل يمكن أن يتبدد باي قوة عسكرية؟ داعش ليس مجرد رد فعل. إنه ظاهرة طبيعية ضرورية. حتى ليجوز القول إنه هو وحده الجواب. كمثل القول "هيك

## مناهة العراق المفتوحة على المفاجآت



فاروق يوسف  
كاتب عراقي

أخطر ما فعله سياسيو الوضع القائم أنهم أقدوا العراقيين إنسانيتهم. وهو ما يمكن تلخيصه بشعور العراقي بالنقص في مواجهة عالم يسعى إلى عزله وتكريس الظلم الذي لحق به.

هناك "عدوانية وهمجية وقسوة" صارت بمثابة مقياس لعلاقة العراقي بالأخر ومن خلاله بالخارج الذي يشعر أنه أدار له ظهره.

فحين يرى العراقي أن مجلس النواب، وهو المجلس التشريعي الذي يسن القوانين ويراقب أداء الحكومة، يتكون من أميين وقتلة ولصوص وشهادت وأصحاب صالات قمار ودور دعارة، فإنه يشعر باليأس من نفسه ومن مستقبله ومن العالم. صارت جزءاً من الماضي صورة العراقي معتداً بنفسه رافعا لواء كرامته.

لقد تمّ إذلال العراقي بطريقة ممنهجة. فالنموذج الذي يقدمه السياسي العراقي هو تكريس للفشل الذي صار عنواناً للنجاح في دولة فاشلة. تلك الدولة التي لم تعلن بعد عن هويتها. دينية هي أم مدنية؟ ولا تزال الميليشيات فيها قادرة في لمح البصر على إسقاط الحكومة، ناهيك عن أن رجال الدين صاروا يتمددون بسلطتهم من خلال العودة إلى الأنظمة العشائرية. كل ذلك أدى إلى أن يفقد العراقي مواطنته. لم يعد العراقي مواطناً وفق مواصفات المواطنة في العصر الحديث.

وهكذا يكون الوضع السياسي الرث قد صنع مجتمعاً رثاً. لا تنفع في ذلك محاولات العراقيين في الدفاع عن إنسانيتهم من خلال الموسيقى والرواية والشعر والمسرح وهوسهم الاستعراضية بالكتب. هناك قوة عمياء تجرّ البلد إلى مستنقع لا قرار له. لقد أتاحت للفاسدين فرصة تهديم الاقتصاد العراقي. لم يعد هناك اقتصاد عراقي حقيقي وهو ما يمكن أن يفهم من خلال العودة إلى انسداد الأفق في الحياة السياسية.

العراق الجديد هو مناهة تشعبت دروبها وليس هناك من أمل في خروجه منها. دائماً ستكون هناك مفاجآت، غير أنها للأسف لن تكون سارة.

منذ أن غزت الولايات المتحدة العراق وأسقطت دولته عام 2003 صار الوضع السياسي هناك مفتوحاً على كل أنواع المفاجآت الرثة.

ما تُسمّى بـ"الطبقة السياسية" هناك هي عبارة عن تجميع عشوائي لعدد من العاطلين والجهلة والفاشلين من الحزبيين وقطاع الطرق ممن وجدوا في فوضى الاحتلال فرصة للقفز إلى المناصب الرئيسية في دولة لم يعد لها وجود، وليتمتكنوا من خلالها من إقامة نظام محاصصة ضمن لهم ولعوائلهم وقبائلهم وأتباعهم الاستمرار في الحكم بحماية مزبوجة أميركية- إيرانية، كانت ولا تزال الحائط الذي يستندون إليه لظهورهم وهم يمارسون عمليات فساد مالي غير مسبوقة في التاريخ من جهة حجمها. في ظل تلك الحماية لم يعد الحديث عن سياسة عراقية مستقلة إلا نوعاً من السخرية من السياسة التي التهم الاهتمام بها الجزء الأكبر من حياة العراقيين، من غير أن يفلحوا في أن يصلوا إلى معناها الصحيح وقومها الحقيقية، بحيث صارت مهنة لمن لا مهنة له من رجال الدين وأفراد العصابات الدينية والجنود الهاربين من الخدمة العسكرية والبيعة المتجولين ممن لم يخدموا في وظيفة حكومية من قبل. تلك المعطيات صنعت وضعا غرائبياً فريداً من نوعه.

فالمناصب الحكومية التي صارت تُباع وتُشترى لا يملك أصحابها ما يؤهلهم للقيام بدور سياسي، هم في غنى عنه ما دام العراق الجديد واقعاً في قبضة الميليشيات التي صار زعماءها يتصدرون المشهد السياسي. لقد أعفى سياسيو العراق الجديد من ممارسة السياسة واكتفوا بالقباهم باعتبارهم زعماء الوضع القائم. وهو وضع لا يبنى باي إمكانية لقيام دولة في الوقت المنظور. كما أن أحداً من أولئك "السياسيين" لا يمكنه أن يقدم دبلاً واحداً على أن العراق يمكنه أن يستعيد شيئاً من بنيته كدولة مدنية، ينعم مواطنوها بشيء من إنسانيتهم.



**العرب**

أول صحيفة عربية صدرت في لندن  
1977 أسسها  
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير المسؤول  
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام  
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير  
مختار الدبائي  
كرم نعمة  
حزام خريف

مدير النشر  
علي قاسم

المدير الفني  
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن  
Al-Arab Publishing House  
المكتب الرئيسي (لندن)  
The Quadrant  
177 - 179 Hammersmith Road  
London, W6 8BS, UK  
Tel: (+44) 20 7602 3999  
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان  
Advertising Department  
Tel: +44 20 8742 9262  
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk  
editor@alarab.co.uk